عام 1917.

نزيه خاطر

قراءات ممسرحة من رواية إيمان حميدان يونس في مكتبة "البرج"

في إطار "القراءات الممسرحة" التي اصبحت تحتل جزءاً من الانشطة المرافقة ليوميات مكتبة "البرج"، استقبل الفضاء الثقافي لهذه المكتبة افراداً من المجموعة الدرامية والراقصة المعروفة بـ"المحترف الحادي عشر" في اداء حي قوامه مختارات من نص للروائية اللبنانية ايمان حميدان يونس لفت اليه بما يختزنه من تفاصيل حميمة عن حروب عاشتها المؤلفة في جسدها ووجدانها، فكانت ترجمته من العربية (عن دار "المسار") الى الفرنسية (عن دار "فرتيكال" الفرنسية)، وتبعها احتفال بالعمل ومؤلفته على شكل عرض بعدة اصوات، دام نحو عشرين دقيقة، وباللغتين العربية والفرنسية، وتوزّع تشكيلاً على اداء وايماء ورقص لبناء مختصر مفيد عمّا روته لقرائها الكاتبة اللبنانية ايمان حميدان يونس.

وكمدخل الى العرض ارتفع صوت بصيغة القارئ يقول نصاً بالعربية تحكي فيه امرأة ولوجها دنيا الحرب من دون موعد. كأن الحرب تأتيها من بعيد، من الاذاعة، من التلفزيون، على شكل حدائق بعيدة، لتعلن في آخر هذا الكلام: "يقولون ان الحرب انتهت وانا لم انه قصتي بعد".

مؤدون يمسرحون بالجسد والايماء وعلى تماس مع جمهور مكتبة "البرج" مساء امس. (مروان عساف)

ومع دخول المؤدين، او المؤديات، يأخذ العرض الايقاع اللغوي الفرنسي. فيتشعب متوزعاً على ألسنة متعددة تنطلق بلسان الشخصية المركزية التي تحكي تجربتها وسط الحروب اللبنانية بصيغة "الانا". ولا حوار في عرض "باء مثل بيت... مثل بيروت" – وهو العنوان – رغم وفرة المتكلمين للطابع الحميم المعقود على البوح الذاتي للعرض. والجو قريب جزئياً من الرقص الذي تحرر من الرقص مما يلوّن المؤدي بملامح من يمشي بخطوات ايقاعها خاص، ومن يحكي بنبرة تشي بعمق موسيقي في نطقها.. لكن كل ذلك بدا كأنه ينتظر صقلاً اكثر تدريباً ليستوي على منصة مختمرة.

و"المحترف الحادي عشر" معقود اللواء على الكوريغراف والمخرجة رويدا الغالي وزميلاتها في متابعة عمل اختياري يرغب في التأسيس لسلوك اكثر التصاقاً بالوجه الجديد لفنون العرض. ومن هذه الزاوية يأتي العمل على رواية "باء مثل بيت... مثل بيروت" لايمان حميدان يونس، مؤسساً لخطوات سليمة في الاتجاه الصحيح.

ن.خ.

النهار ١٧ آذار ٢٠٠٦

عرض ستديو ١١ لـ «باء مثل بيت مثل بيروت»

لحظـــة الإيقـــاع

لم يزد ستديو ١١ فرقة رويدا الغالي عن تقديم رواية ايمان حميدان يونس «باء مثل بيت مثل بيروت». لكن تواضع العمل من مزاياه النادرة اذ ليس اصعب من ان يقدم فن فنا آخر وان تكون هذه غايته حقا. الموسيقى واللوحات والرقصات التي تستلهم أدبا ما سرعان ما تبتعد عن الاصل لتجعل منه إما ذريعة صورية لعمل آخر، وإما موضوعا لتقريظ سخيف خفيف على سبيل التحية وينساه صاحبه ولا يعده من اعماله، وإما محاولة وعرة للقبض على نص تنتهي بالعجز عن مجاراته وتمثله. ما فعلته رويدا الغالي بنص حميدان يونس ليس هذا ولا ذاك، لم تبتعد كثيرا ولم تقرظ ولم تحاول ليّه او افتعاله. قدمت عملا سلسا منسابا ومشوقا «لم لا» وما كان يمكن لهذه الهارموني ان توجد في عملها لولا ان لحظة ايقاع سحرية انعقدت بين العمل الادبي والعرض البصري، لم تحتج فرقة ستديو ١١ الى مخيلة اكثر من مخيلة النص وفي النص مخيلة معذبة بحنان ولطف ووعي شقي على حد لوكاش، لم تحتج الفرقة الى اكثر من قراءة بصرية لمقاطع من النص، لكن القراءة البصرية هي بالضبط السهل المتنع كما يقال، القراءة هي ما يحتاج إليه النص وما لا يحصل عليه غالبا، لكن الاستسلام لنص ليس فعلا سلبيا، انه اكثر من عمل ايجابي وهو ايضا خلاق، لانه كما في عرض ستديو ١١، ايجاد ايقاع للنص والارجح ان هذا اهم ما في العرض. الايقاع الذي جعل الحركة والقراءة تترجمان بعضهما البعض، والايقاع الذي هو حالة تجاوب تلقائية ومباشرة ومؤثرة بين كل تفاصيل العرض. لا شك في ان لعب الخمس عارضات (هل تصح هذه التسمية) كان في ذلك الحساب والاقتصاد الكبير لما بدا تلقائيا بل وشبه مهمل. هنا ايحاء السفر، اللقاء الاعتباطي في محطة مثلا، الكثرة التي تنشأ من حركات: ايحاء اللعب على الثلج ومرة ثانية هناك الكثرة، هناك «العجقة» الفوضى التي تنشأ من خمس، هناك ايضا ايحاء المقهى ومرة ثالثة العجقة والكثرة التي تنشأ من خمس، كان على الخمس ان يتكررن ان يتضاعفن بحركاتهن فقط بنقلاتهن المحسوبة بتقاطعاتهن في الحركة والكلام، بتقدمهن وتأخرهن. كان على الخمس ان يكن محطة ومقهى ومنتزها جبليا. اي بكلمة خلقت الفتيات بحركاتهن ذلك المشهد العريض الذي هو الرواية.

عمل قريب وسلس لدرجة يمكن معها ان نتحدث عن «متعة النص» كما كان يقول بارت، لدرجة تبدو فيها القراءة البصرية مساوية للقراءة الفعلية. النص يصلنا في الحالين قريبا وحميما، بين القراءة البصرية ونص حميدان تلك الحميمية التي هي ايضا من قدرة العرض على خلق جو، او بالاحرى على تحويل الرواية الى مشهد وجو وايقاع. لم تكن الصور هي المهمة لأنها موجودة بغزارة في الرواية، كان المهم تحويل الكلام المقطع المتقاطع الى سطح مشهدي، المهم اعطاء النص القدرة على ان يتحول الى تقاطعات وتقابلات وتوازيات وتجاوبات وحوارات، المهم تحويل النص الى فضاء هندسي والى فضاء بصري.

حملت الفتيات الخمس قراءة اخرى للنص، امينة لكن الامانة امر يحتاج الى ايحاء والى خلق. فهدم الحاجز بين النص والمشهد ليس من نافل الاشياء، انه تماما الفن يتخفى ويعمل في الصمت لينتج الاصعب الذي هو احيانا التطابق، الاصعب الذي هو الحوار. كان عرض ستديو ١١ بالتأكيد امرا جديدا. فتلك واحدة من المرات القليلة التي نرى فيها نصا على نص مع اننا طالما تكلمنا عن ذلك وتغنينا به. تلك واحدة من المرات القليلة التي يبدو فيها البناء وحده مطلوبا، مع التضحية بكل الثرثرات غير الضرورية والابداعات الاضافية. لقد رأينا عرض ستديو ١١ كنص مفتوح.

عباس بيضون

السفير الست ٢٠ أذار ٢٠٠٤